نقد الآخرين
أسباب وضوابط

بقلم : نصر المقطري

يغص الوسط الإسلامي اليوم بطبقة من النقاد ، وأقصد بالنقاد الذين أوقفوا أنفسهم لنقد أعمال الآخرين ، سواء في صف الجماعة الواحدة ، أو الجماعات الأخرى ، وليست الغاية من هذا النقد تصحيح المسار ، والوصول إلى نتائج لوضعها موضع التنفيذ ، فهذا الأمر مطلوب بل مهم ، ولكن من قبيل إفراغ الطاقة الموجودة لدى هذا الناقد ، وإرضاء لنفسه ، أو هروباً من الواقع ، فهي حركة ولكن في نفس المكان .

إن هذا الصنف من الناس يهدم أكثر مما يبني ، ويفسد أكثر مما يصلح ، فيا ليته سكت عن أعمال الآخرين ، وأمسك عن النيل منهم ، ولكنك تراه ينتقص هذا العمل ، أو يحتقر ذاك ، ويقلل من أهمية الأمر ، دون أن يقدم البديل الصالح ، أو النصح النافع ، فإذا أتيته وطلبت منه المشورة والنصح والتوجيه ، تجده يغلق عليك الأبواب ، ويصيبك بالإحباط .

إن هذا الأسلوب يضر بالدعوة الإسلامية ، فهو يؤخر مسيرة العمل ، ويصيبه بشلل كبير ، وصاحبه لاهو عمل ، ولا هو ترك غيره يعمل ، فهو أشبه بالمنبت الذي « لا ظهراً أبقى ، ولا أرضاً قطع » . وكان الأجدر بهذا الناقد أن ينتظر ويتمهل ، فإن رأى غيره قد أقدم على العمل ، وخرج هذا

العمل إلى حيز التنفيذ ، وليس هناك مأخذ ديني عليه ، أو أي مفاسد من ورائه ، فليأخذ بيد غيره ، وليشد أزرهم ، وليشع روح الحماس فيهم ، حتى ينجح العمل ، وإن كان هذا العمل لم يخرج بعد إلى حيِّز التنفيذ ، وإنما هو في طور الإعداد والدراسة ، فعليه أن يقوم بدراسة دقيقة كاملة عن هذا العمل ، إما بالإيجاب أو بالنفي ، لا أن ينقد أعمال غيره ويهدمها ، بدون أن يدرسها دراسة متكاملة ، وإلا صدق عليه قوله ﷺ : « من قال هلك القوم فهو أهْلَكُهُمْ » ، وفي رواية « فهو أَهْلَكَهُمْ » .

والنقد يكون مضراً ، حين يكون الباعث عليه غير كريم ، ومن هذه البواعث ما يلي :

١ - الهوى :

يقول تعالى : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ ، أي « لا تتبعوا شهوات أنفسكم ، لمعارضة الحق ، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب ، ولم توفقوا للعدل ، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً ، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه ، فمن سلم من هوى نفسه ، وفق للحق ، وهدي إلى الصراط المستقيم »[1] .

٢ - الحسد والشنآن :

لاشك أن الحسد والشنآن من البواعث على النقد ، فهذا الناقد لا يذكر محامد غيره ، بل يعمد إلى تسقط زلاته فيذيعها ويجسمها ، ليهون من أمره .

« إن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمدمن الحسد وهو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا ، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا ، بل ينتفع به ، والنعمة لاتزول عن المحسود بحسدك ، ولو لم تكن تؤمن بالبعث ، لكان مقتضى الفطنة - إن كنت عاقلاً - أن تحذر من الحسد ، لما فيه من ألم في القلب مع عدم النفع ، فكيف وأنت تعلم ما فيه من العذاب في الآخرة »[2] .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ - الحشر : ١٠ -

٣ - الخلاف مع الغير :

وأقصد به خلاف الأفهام والتنوع ، أو الخلاف في أمور شخصية ، أو دنيوية .

إن هذا الخلاف - وإن كان يسيراً - قد يدفع بهذا الناقد إلى هضم أعمال المخالفين ، ويفقده الإنصاف ، وفي المقابل من ذلك تراه يمدح أعمال من لم يخالفه ، وإن كان ه ا العمل الذي مدحه قد يتخ له قصور واضح ، وخطأ ح ي ، فيكون الأمر كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

٤ - الانتماء :

إن من الأسباب الداعية إلى النقد « الانتماء » ، وهو أن الفرد عندما يشعر أنه ينتمي إلى جماعة معينة ، يحاول أن يبرز منهج هذه الجماعة ، ولو على حساب الجماعات

١ - « مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية » من مؤلفات الشيخ / عبد الرحمن السعدي ، إعداد / محمد بن عبد الله الوائلي ص ١٠٢ .
٢ - مختصر منهاج القاصدين للإمام / محمد بن قدامة المقدسي ص٢٢٥) .

الأخرى ، فتراه ينقد ويهدم أعمال الجماعات الأخرى لمجرد أن جماعته تختلف معها ، فهلاً تعاملنا مع هذا الاختلاف بإنصاف ؟ ، وهلا تذكرنا قوله تعالى : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ، فالواجب علينا أن نستفيد من أعمال غيرنا ، فنأخذ ما صح منها ونبني عليه ، والخطأ يصحح ويقوم . ولقد أحسن من قال : « وليست المشكلة فقط أننا لانستفيد من صواب كل واحد منهم ، بل إن بعضنا ينقض ما عندهم من إيجابيات ، ويقلل من شأنها ، ويستهين بها ، ونحن في ذلك ﴿ كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ - النحل : ٩٢ - »[1].

٥ - التقليد :

إن التقليد قد يدفع بالشخص إلى النقد ، خاصة إذا كان المقلَّد عنده هذه الصفة (النقد) ، وإن المتأمل لحال بعض النقاد ، يجد أنه قد أحب شخصاً فتراه من حبه له يقلده في صفاته وحركاته وسكناته ونقده أيضاً دون تدبر أو تأمل ، حتى ليغدو لسان حاله معه كما قيل :

إذا قالت حذام فصدِّقوها

فإن القول ما قالت حذامِ

فلا يزيد هذا الناقد عن أن يكون رجع صدى لمن يقلده .. وما هكذا ينبغي أن يكون المسلم .

إن النقد ينبغي أن يكون بناءً وهادفاً ، وحاملاً مفهوم النصيحة المشفقة ، وهذا له ضوابط ، ومن هذه الضوابط ما يلي :

الضابط الأول : قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ .

ففي الآية الكريمة أمر منه تعالى لعباده المؤمنين أن يكون من صفاتهم القيام لله ، والشهادة بالعدل في أحبابهم وأعدائهم ، وألا يجوروا في أحكامهم ، وألا تحملهم عداوة قوم على ألا يعدلوا في حكمهم فيهم »[2].

و « القيام بالقسط من أعظم الأمو وأدلها على دين القائم به وورعه ومقامه في الإسلام ، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام ، وأن يجعله نصب عينيه ومحل إرادته ، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به ، وأعظم عائق لذلك « اتباع الهوى » ، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ »[3].

الضابط الثاني : قال ﷺ : « لايفرك (يبغض) مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي آخر » ، يبين لنا الحديث أنه ينبغي على الفرد أن يوطن نفسه على أن غيره فيه عيب ونقص ، وأن الكمال في النفس متعذر ، فإن وجد عيباً فليتذكر ما فيه من المحاسن ، وبذلك يستمر العمل والبناء ، وتزداد الألفة والمحبة .

« وهذا الأدب الذي أرشد إليه ﷺ « لايفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي آخر » ينبغي سلوكه واستعماله مع

---

١ - خواطر في الدعوة للشيخ / محمد العبدة ص ١٢٠ .

٢ - مقال للشيخ / عقيل المقطري بعنوان « قواعد الاعتدال في تقويم الجماعات والرجال » ، مجلة « المنتدى » ، ع ٥ ، ص ٢٤ .

٣ - مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية ص ١٠٢ .